حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به - العدد الاول - شهر رمضان - ١٤٣٢هـ / آيار - ٢٠١١م

١

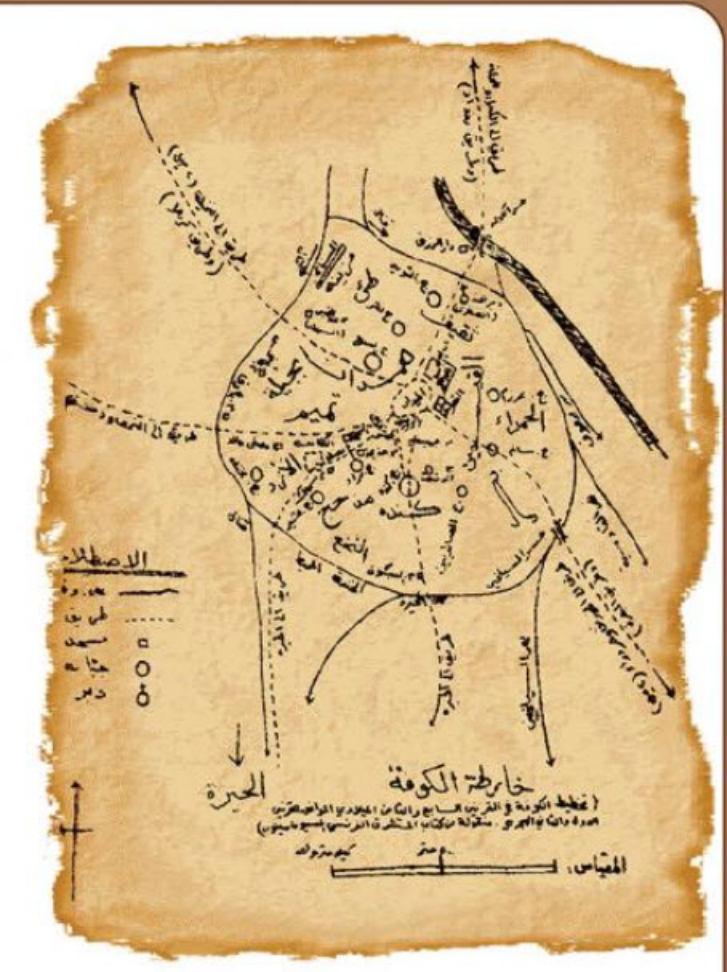

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

مسجد الكوفة في التاريخ

الأستاذ الدكتور حسين أمين

رئيس اتحاد المؤرخين العراقيين سابقاً

يعد مسجد الكوفة من المساجد الأولى التي شيدت في الإسلام، ولما بادر القائد العربي الإسلامي سعد بن أبي وقاص لبناء مدينة الكوفة، وأول ما شرع بالبناء تشييد مسجد الكوفة، جاعلا المسجد وسط تخطيط المدينة وبذلك يكون مسجد الكوفة هو محور المدينة ومركزها الرئيس، وبهذا يكون بناء مسجد الكوفة على خلاف ما اعتاده المسلمون في بناء مدنهم إذ كان الخلفاء أو الأمراء يباشرون ببناء دار الإمارة أو القصر ثم من بعد ذلك يباشرون ببناء المسجد مثال ذلك عند بناء مدينة واسط سنة ٨١هـ وبناء بغداد سنة ١٤٥هـ

إن المسلمين عندما شيدوا مدينة الكوفة أرادوها إن تكون مركز قوتهم، قاعدة عسكرية، ومقرا للمجاهدين، فكانت الكوفة المدينة العربية الخالصة التي ارتادها العرب من كل مكان فقد نزلت الكوفة قبائل كنانة وجديلة وقضاعة وبجيلة وغسان وخثعم وكندة والازد ومذحج وحمير وهمدان وتميم وبنو أسد والنمر من بني بكر وتغلب وإياد وبنو عبد قيس، وكان لهؤلاء الدور الكبير في تاريخ المدينة السياسية والثقافية والاجتماعية.

ولم أجد في تاريخ المدن الإسلامية مدينة مثل الكوفة ما ورد حولها من الأخبار والحكايات ما يدل على أهميتها وعلو شأنها في التاريخ، وبخاصة ما جاء في كتب التاريخ حول مسجدها الجامع والذي يعد من المساجد الإسلامية المهمة وذكروا أن مسجد الكوفة يمتد تاريخه إلى أزمنة سحيقة في القدم ويعتقد البعض إن إبراهيم عليه السلام صلى في هذا المسجد كما صلى فيه ألف نبي وإن في المسجد عصى موسى وخاتم سليمان، كما أوردوا أحاديث وأقوال لعدد من الأئمة والعلماء ما لهذا المسجد من المكانة والفضل منها قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام إن في مسجد الكوفة مقام إبراهيم ومقام جبرائيل وقال: والذي نفسي بيده لو يعلم الناس من فضله ما أعلم لازدحموا عليه، وغير ذلك من الأقوال التي تؤكد مكانته السامية في نفوس المسلمين إذ يعده المسلمون هو رابع المساجد المعدودة في العالم الإسلامي، المسجد الحرام والمسجد النبوي في المدينة والمسجد الأقصى ومسجد الكوفة.

إن الأخبار تدل أن المسجد شيد على أرض مربعة الشكل تقريباً بانحراف قليل عن زاوية القبلة بمقدار سبع عشرة درجة وكان طول الضلع المواجه للقبلة ١١٠متراً والجدار المقابل للقبلة يبلغ ١٠٩متراً ما الضلعان الآخران فيبلغ طول كل منهما١١٦متراً، ودلت الدراسات الأثرية إن هذه الجدران كانت نازلة في الأرض إلى عمق خمسة أمتار ونصف وإن الجدران كانت مدعومة من الخارج بأبراج نصف دائرية ترتفع بارتفاع الجدران إلى حدود عشرين مترا.

إن مسجد الكوفة الذي شيده أولا القائد سعد بن أبي وقاص جرت عليه تطويرات متعددة فقد وسعه المغيرة بن شعبة في ولايته الثانية سنة٤١هـ وجرى توسيع المسجد بشكل كبير أيام ولاية زياد ابن أبيه الذي اتخذ له مقصورة خاصة لأسباب أمنية، كما جرت بعض الإصلاحات والتجديدات على المسجد أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي وخالد ابن عبد الله القسرى لمدينة الكوفة.

وكان الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قد اتخذ الكوفة عاصمة بعد وقعة الجمل سنة٣٦هـ وصار مسجد الكوفة سنة٦٦هـ ودخل المسجد وصلى بالناس، ولما دخل مصعب مسجد الكوفة وصلى بالمسلمين في أواخر سنة٦٧هـ دخل شبيب الخارجي مدينة الكوفة منتصراً على الحجاج الثقفي وصلى وزوجته في مسجد الكوفة.

وفي سنة١٣٢أعلنت الخلافة العباسية في مسجد الكوفة وخطب أبو العباس السفاح وصلى بالناس وصارت مدينة الكوفة أول عاصمة للعباسين.

وحفل جامع الكوفة بأنه كان أول مدرسة لإقراء القرآن الكريم، وقد جلس القراء في مسجد الكوفة يلقنون طلبة القرآن القراءات التي رووها بأسانيدهم، وكان أبو عبد الرحمن السلمي

شيخ القراء أول من جلس للإقراء في مسجد الكوفة وكان السلمي قد أخذ القراءة عن علي وعثمان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ورواها عن الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب٣ وعاصم بن أبي النجود الأسدي، أحد القراء السبعة وهو تابعي من أهل الكوفة وكان ثقة في القراءات توفى سنة ١٢٧هـ/٧٤٥م.

ومن شيوخ الإقراء حمزة بن حبيب المعروف بالزيات وهو أحد القراء السبعة، كان يجلس هذا العالم الجليل في مسجد الكوفة ويعلم تلاميذه القراءات القرآنية.

ومن شيوخ الإقراء في مسجد الكوفة علي بن حمزة الكسائي وهو أحد القراء السبعة في العالم الإسلامي. لهذا صارت مدرسة الكوفة التي كان مقرها مسجد الكوفة أشهر مدرسة للإقراء في العالم الإسلامي.

ومسجد الكوفة كان موطن الفقه ومستقر الفقهاء وإن عددا كبيرا من الصحابة الإجلاء دخلوا الكوفة وكان لهم دورهم الكبير في إقامة مدرسة فقهية سامية، مثال ذلك الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وعبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وخباب بن الإرث وحذيفة بن اليمان وسهل بن حنيف وغيرهم من الصحابة الكرام، كما برز في الكوفة عامر بن شراحيل الشعبي وسعيد بن جبير ثم جاء من بعدهم محمد بن أبي ليلى وهو من أعلام الفقه والقضاء، كما جلس في مسجد الكوفة الإمام جعفر بن محمد يعطي دروسا في الفقه وكذا الإمام النعمان بن ثابت المشهور بأبي حنيفة.

وحفل مسجد الكوفة بعدد كبير من اللغويين والنحاة أمثال علي بن حمزة الكسائي وأبي الأسود الدؤلي ويحى بن زياد الفراء الذي قال فيه ثعلب: لولا الفراء لسقطت العربية، ومن مشاهير الكوفيين الذين كانوا يعلمون الطلاب في مسجد الكوفة يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت وكان عالما بنحو الكوفيين وعلم القرآن والشعر وهو من الرواة الثقاة قتل سنه٢٤٤هـ ولعل من أشهر المشتغلين في اللغة والأدب أبو عمرو بن العلا التميمي المتوفى بالكوفة سنه١٥٤هـ

ومن الذين كانت لهم صولات وجولات في مسجد الكوفة من اللغويين أبو عبيد القاسم بن سلام الخزاعى وعمرو بن أبي عمر الشيباني وأحمد بن يحى المعروف بثعلب والمتوفى سنه٢٩١وأبان بن تغلب بن رياح الجريري المتوفى سنه١٤١هـ كما اشتهر مسجد الكوفة بالشعراء الكبار الذي تخرجوا في ذلك المسجد العتيد.

ومن مشاهير من تولى ولاية حكم الكوفة واعتلى منبر مسجدها العتيد، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والذي اتخذ الكوفة مركز حكمه وصارت الكوفة لأول مرة في التاريخ عاصمة للخلافة الإسلامية بعد المدينة، وعند محراب مسجدها اعتدى عبد الرحمن بن ملجم على الإمام علي عليه السلام وهو يبادر لصلاة الفجر. ومن مشاهير من تولى إمارة الكوفة الصحابي سعد بن أبي وقاص قائد معركة القادسية وأول من تولى الكوفة وبادر إلى بناء مسجدها التاريخي، والمغيرة بن شعبة والصحابي الجليل عمار ابن ياسر وسعيد بن العاص وأبو موسى الأشعري وزياد بن أبيه والضحاك بن قيس الفهري والنعمان بن بشير الأنصاري وعبيد الله بن زياد، والحجاج بن يوسف الثقفي ويزيد بن المهلب بن أبي صفرة الازدي، ومسلمة بن عبد الملك بن مروان وعمر بن هبيرة وخالد بن عبد الله القسري، ويوسف بن عمر.

وأولد ولاة الكوفة أيام العباسيين، داود ابن علي بن عبد الله بن العباس، ثم عيس ابن موسى بن محمد بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ومحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس ثم توالى الولاة على الكوفة من قبل العباسيين.

إن مسجد الكوفة كما بينت هو من أقدم المساجد في العراق وأنه من المساجد الكبيرة والمحاط بهالة من التقديس والاحترام، يلتصق بالمسجد من جهته الشمالية بناء يضم قبر مسلم بن عقيل بن أبي طالب وقبر هاني بن عروة بن الفضفاض بن عمران المرادي، بينهما مدخل يؤدي إلى فناء المسجد وعلى كل من القبرين قبة ذات نهاية مدببة، باطن كل منهما مزين بالكتابات العربية والقاشاني الملون.

إن مدخل المسجد تعلوه مئذنة اسطوانية ذات شرفة واحدة مزينة بزخارف آجريه مرصوفة رصفاً هندسياً جميلاً، فوقها نطاق زخرفي من الدلايات فوقه شريط مرصوف بنظام المربعات يدور حول الشرفة ثم ينحسر البدن الاسطواني من وسط الشرفة وينتهي بعمة مخروطية.

وبيت الصلاة في مسجد الكوفة معظمه أجريت عليه تجديدات في فترات تاريخية مختلفة وأجمل ما في بيت الصلاة محراب تعلوه كتابة هذا نصها(هذا مقام أمير المؤمنين) ويعد هذا المحراب أجمل المحاريب التي يضمها مسجد المحراب بوابة برنزية ذات نقوش مفرغة حولها زخارف جميلة بالقاشاني الملون في أعلاها آية قرآنية(كلما دخل عليها زكريا المحراب) وعلى يمين البوابة البرنزية منبر مشيد من الرخام.

وكان مسجد الكوفة مقرا للقضاء، وكان للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام موضع في المسجد يعرف بدكة القضاء كان يجلس فيه للقضاء والفصل بين المتخاصمين وكانت هناك اسطوانة قصيرة مكتوب عليها(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ومع الأسف فإنها أزيلت ولم يبق لها أثر اليوم، ومن مشاهير قضاة الكوفة الذين كانوا يتخذون من المسجد مكانا للفصل في القضايا التي تعرض عليهم، عروة بن أبي الجعد وشريح ابن

الحارث وهو من مشاهير من تولى القضاء في الكوفة وهو من أهل اليمن تولى القضاء أيام عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رض الله عنهم واستمر حتى أيام الحجاج الثقفي وتوفي٧٨هـ/٦٩٧م وهناك عدد كبير من القضاة الذين تولوا أمر القضاء في الكوفة الذين اتخذوا من مسجد الكوفة مركزا لأداء مهمتهم.

وممن زار مسجد الكوفة وكتب عنه من الرحالة ابن جبير في كتابه(الرحالة) وابن بطوطة في كتابه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) والمؤرخ ابن جرير الطبري في كتابه تاريخ الأمم والملوك، وابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ، وتاريخ الكوفة للسيد حسين بن أحمد البراقي والمستشرق الفرنسي ماسينيون في كتابه خطط الكوفة، والاثاري الكبير كريسول في كتابه تاريخ العمارة الإسلامية إضافة إلى البحوث المتعددة التي نشرت في مجلات متخصصة من أهمها مجلة سومر التي تصدرها دائرة الآثار العراقية.

هذه جولة تاريخية في حياة مسجد عربي إسلامي مع نشأة الدولة الإسلامية وكان له الدور الرائد في الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، ولما يزل هذا المسجد المبارك مقصد المسلمين من كل مكان في العالم الإسلامي وتقدم عنه الدراسات التاريخية والأثرية كما أصبح النموذج الذي يحتذي في بناء المساجد في العالم الإسلامي.

* * *